

القدس لنا
ولا حَقّ لليهود
في فلسطين

فلسطين كل فلسطين لنا يا أبناء الحيات والأفاعي

نقول لليهود:

نقول لهم مثلما قال أشعياء: «تسمعون سمعًا ولا تفهمون. مبصرين تبصرون ولا تنظرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» [متى ١٣: ١٤ ـ ١٥].

أطلقها أشعيا النبي قبل سبعة قرون من مولد المسيح عليه السلام الذي رددها ليهود عصره، فجعلوا أصابعهم في آذانهم وأصرّوا واستكبروا استكبارًا.

ماذا يقول الدجاجلة من يهود:

يقول «وايزمان» لرئيس وزراء بريطانيا:

«لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود لغير فلسطين ما تبعه أحد».

ويقول شامير: «إن الإرهاب الذي كنت أمارسه كان له هدف سامي، وهو التمكين لوطني وعقيدتي، أما الفلسطينيون فكان هدفهم ليس عادلاً، إنهم يقاتلون من أجل أرض ليست لهم.. أرض شعب إسرائيل».

ويقول الدّجال الكذاب الأشر إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق ورئيس الوفد الإسرائيلي في مدريد يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩١م: «خلال ألفي عام من الترحال حطّ الشعب ها هنا لمئات السنين حتى طرد من هذه الأراضي (أسبانيا) قبل خمسمائة سنة. وفي ختامها عبر الشاعر والفيلسوف الكبير يهودا هاليفي عاليزي عن شوق جميع اليهود إلى صهيون فقال: «إن قلبي في الشرق وأنا في أقصى أرجاء الأرض».

يجب أو يتعيّن على الواحد منا أن ينظر اليوم إلى السيادة اليهودية على أرض إسرائيل على خلفية تاريخية لإدراك معنى السلام بالنسبة للشعب في إسرائيل. لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريبًا، في بعض البلدان تقبّل الأهالي اليهود بصعوبة، وفي بلدان أخرى تعرّض اليهود للاضطهاد والتعذيب والذبح.. وشهد هذا القرن خطة إبادة نُفذت على أيدي النظام النازي.. أمكن تنفيذها؛ لأن أحدًا لم يدافع عنا، فقد كنا بدون وطن، وكذلك بدون حماية.. وفي الواقع فقد جاءت ولادة إسرائيل من جديد بعد وقت قصير جدًّا من الكارثة، جعلت العالم ينسى مطالبنا القديمة، وأننا الشعب الوحيد في أرض إسرائيل بدون توقف، أو الذي ظلّ في أراضي إسرائيل بدون توقف خلال حوالي أربعة آلاف سنة. فنحن الشعب الوحيد باستثناء فترة المملكة الصليبية القصيرة. الآن رجعت له سيادة مستقلة في هذه الأرض.. ولم يعبر شعب عن علاقته بأرضه بصورة ثابتة ومتواصلة مثلنا، فعلى مدى آلاف السنين قال شعبنا في كل فرصة على أثر شاعر المزامير «لن أنساك يا أورشليم»، وعلى مدى آلاف السنين تمنينا لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة».

وعلى مدى آلاف السنين عبّرت صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا، فأرض إسرائيل هي وطننا الحقيقي. وكل دولة أخرى مهما كانت سخية فهي ليست سوى مهجر ومحطة مؤقتة في طريقنا إلى ديارنا.. وقد عبّرت الحركة الصهيونية سياسيًّا عن مطالبتنا بأرض إسرائيل.. وفي عام ١٩٢٢م اعترفت عصبة الأمم بأحقية مطلبنا، وأدركت المنطق التاريخي المقنع لإقامة وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل. وأقرت الأمم المتحدة هذا الاعتراف من جديد بعد الحرب

العالمية الثانية.. إن الأمم المتحدة لم تخلق إسرائيل. لقد قامت الدولة اليهودية وتكوّنت لأن الطائفة اليهودية الصغيرة التي كانت تقيم في أرض إسرائيل تحت الانتداب ثارت على الحكم الأجنبي الإمبريالي.

لقد جلب العداء العربي الإسرائيلي أيضًا معاناة إنسانية، وشجع زعماء العرب على فلسطين تحت الانتداب مئات الألوف من السكان على الهرب من بيوتهم، ومعاناة هؤلاء هي وصمة على جبين الإنسانية!»[١].

يزعم اليهود أن لهم حقًّا في فلسطين والقدس، وما أقذر تبجحهم هذا؛ فإن الدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها، فلا سند لهم من التاريخ أو التوراة أو الدين.

ففلسطين والقدس إسلامية عربية، أما دعاوى اليهود فدخان في هواء.

❑ نقول لمزوري التاريخ ومخترعي الأساطير من يهود.. تذكروا ما كتب تيودور هرتزل في مذكراته عن المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل بسويسرا عام ١٨٧٩م: «إذا أردت تلخيص نتائج المؤتمر في كلمة أحتفظ بها سرية غير قابلة للنشر، فإنها تكون هكذا: في بازل أُسست الدولة اليهودية».

❑ نقول لليهود: لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم يظهر في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظمة على يد (هرتزل)؟ فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هي المرشحة لتكون الوطن

---

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨ ـ ٩) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

القومي لليهود. بل رشحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين ـ باعتبارها أرض الميعاد ـ إلا بعد فترة من الزمن.

لقد حاول هرتزل الحصول على مكان في (موزمبيق) ثم في (الكنغو) البلجيكي. كذلك كان زملاؤه في إنشاء الحركة الصهيونية السياسية، فقد كان (ماكس نوردو) يلقب بالإفريقي، و(حاييم وايزمان) بالأوغندي، كما رشحت (الأرجنتين) عام ١٨٩٧م و(قبرص) عام ١٩٠١م، و(سيناء) في ١٩٠٢م ثم (أوغندا) مرة أخرى في ١٩٠٣م بناء على اقتراح الحكومة البريطانية. وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة؛ لأن اليهود في العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية، سواء لأسباب أيديولوجية، أو لأنهم كانوا عديمي الرغبة في النزوح عن البلاد التي استقروا فيها. بل إن مؤتمر الحاخامات الذي عقد في مدينة فيلادلفيا في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانًا يقول: إن الرسالة الروحية التي يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة!.

وإزاء هذا الموقف، فكر (هرتزل) في طريقة يواجه بها هذا الوضع، وهداه تفكيره إلى أن يحول الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود.. ورأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف، وانتصر رأي (هرتزل)، وإن يكن بعد وفاته، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرة الوطن اليهودي في فلسطين عام ١٩٠٥م، بعد موته بسنة.

* إبطال مزاعم إسرائيل التاريخية في فلسطين:

أولاً: فلسطين عربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم:

يقول ساباتينو موسكاتي، الأستاذ بجامعة روما، في كتابه «الساميون في التاريخ القديم»: «إذا أخذنا بالتعريف الحديث لكلمة الشعب، لوجدنا أنه مجموعة من الناس قد تتكون من عناصر وأجناس مختلفة لكنها تتجانس فيما بينها وتكون شخصية لها خصائصها المميزة بسبب الموقع الجغرافي واللغة والعوامل التاريخية والثقافية.

فإذا طبقنا هذا المقياس ـ للشعب ـ على الشعوب المتكلمة باللغات السامية فإنا نجد أن العامل الأول وهو الموقع الجغرافي قد تحقق فعلاً، حيث سكنت هذه الشعوب منطقة سامية واحدة وهي شبة الجزيرة العربية ومناطق على هيئة أنصاف دوائر (أَهِلَّة) تحدها من الشمال (وادي الرافدين وسوريا)، ذلك أن مجموعات الشعوب التي سكنت هذه المنطقة موزعة حسب مناطق إقامتها كالآتي:

البابليون والأشوريون في بلاد الرافدين، والأراميون والعبريون وغيرهم في سوريا، ثم العرب في شبه الجزيرة العربية. هذا مع العلم بأن الأحباش في أثيوبيا يعتبرون نتيجة لإحدى الهجرات إليها من شاطئ الجنوب العربي.

وبالنسبة للعامل الثاني وهو اللغة، فرغم تعدد اللهجات السامية إلا أنها جميعًا متقاربة بدرجة كبيرة. وإذا نظرنا إلى الحركة التاريخية لشعوب هذه المنطقة وعلاقتها ببعضها، أي إلى العامل الثالث، نجد أنها تسير في اتجاه واحد يتكرر على مر العصور، وهو حركة هجرة من قلب شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة..

وعلى ذلك يمكننا تعريف الساميين **بأنهم سكان شبه الجزيرة العربية في أول عصور التاريخ، وقد عاشوا في تجانس لغوي واجتماعي وعنصري**».

هذا وتعرف فلسطين في الأسفار الإسرائيلية باسم أرض كنعان حفيد نوح: «وهذه مواليد نوح: سام وحام ويافث.. وبنو حام، كونن ومصرايم وفوط وكنعان.. وكنعان ولد صيدون بكره، وحثا واليبوس والأموري والجرجاشي والحويّ» [تكوين ١٠: ١ ـ ١٨].

فاليبوسيون هم أبناء كنعان الساكنون في أرضهم ـ فلسطين ـ منذ فجر التاريخ وكان موطنهم مدينة يبوس وما حولها، والتي يقول عنها سفر يشوع: «هي أورشليم ـ ١٨: ٢٨»، وحتى نهاية ما يعرف في التاريخ الإسرائيلي باسم: عصر القضاة (من ١٢٠٠ ق.م إلى ١٠٢٠ ق.م، والذي يعاصر الأسرة رقم ٢٠ في التاريخ الفرعوني، لم يكن في مدينة يبوس مواطن إسرائيلي واحد على الإطلاق. فنحن نقرأ في سفر القضاة: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل.. وفيما هم عند يبوس قال الغلام لسيده: تعالى نمل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها.. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل» [١٩: ١١ ـ ١٣].

فاليبوسيون ـ وغيرهم ـ خرجوا من شبه الجزيرة العربية واستوطنوا أرض فلسطين من قبل أن يظهر العبريون في التاريخ بعشرات القرون. وكانت العاصمة هي يبوس، التي دعاها الإسرائيليون فيما بعد: أورشليم»[١] .

---

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(١٠٥ ـ ١٠٧) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

□ فاليبوسيون هم أول من بنى القدس، وذلك من نحو ثلاثين قرنًا قبل الميلاد. وكانت تسمى «أورشالم» أو مدينة «شالم».

فالعرب الكنعانيون هم أول من سكن فلسطين عامة، إلى أن جاءهم إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من موطنه الأصلي بالعراق، غريبًا، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة، وعمره ـ كما تقول أسفار العهد القديم ـ ٧٥ سنة.

ولما بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق[١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة، ولم يمتلك شبرًا من فلسطين، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرًا[٢] تدفن فيه.

ولما بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة، ولم يملك شبرًا أيضًا منها.

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفسًا لما دخلها، وكان عمره (١٣٠) سنة[٣].

ومعنى هذا أن المدة التي عاشها إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب في فلسطين: (٢٣٠) سنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعًا ولا شبرًا.

وتقول التوراة: إن المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى: (٤٣٠) سنة[٤]، كانوا أيضًا غرباء لا يملكون شيئًا، كما تقول

---

(١) سفر التكوين: ف١٢.
(٢) سفر التكوين: ف١٣.
(٣) سفر التكوين: ف٤٦.
(٤) سفر التكوين: ف١٥.

التوراة: إن المدة التي عاشها موسى وبنو إسرائيل في التيه بسيناء: (٤٠) سنة، أي أن العهد الذي صدر إليهم من اللَّه مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة، وهم لا يملكون في فلسطين شيئًا فلماذا لم يحقق اللَّه تعالى وعده لهم؟!

ومات موسى عليه السلام ولم يدخل أرض فلسطين، إنما دخل شرقي الأردن ومات بها[1]، والذي دخلها بعده: يشوع (يوشع)، ومات بعد ما أباد أهلها (كما تقول التوراة). وقسم الأرض على أسباط بني إسرائيل، ولم يقم لبني إسرائيل ملك ولا مملكة، وإنما قام بعده قضاة حكموهم (٢٠٠) سنة، ثم جاء بعد القضاة حكم الملوك: شاؤول وداود وسليمان، فحكموا (١٠٠) سنة بل أقل، وهذه هي مدة دولتهم، والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقسمت مملكته بين أولاده: يهوذا في أورشليم، وإسرائيل في شكيم (نابلس)، وكانت الحرب بينهما ضروسًا لا تتوقف، حتى جاء الغزو البابلي فمحقهما محقًا، دمر الهيكل وأورشليم، وأحرق التوراة، وسبى كل من بقي منهم حيًّا، كما هو معلوم من التاريخ.

ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار في كتابه «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» قائلاً:

فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها في فلسطين غزاة مخربين، ما بلغت المدة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في أندونيسيا! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم!

---

(١) «سفر الخروج»: التثنية: ف٣.

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة لكن الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده (٢٠٠) سنة أو تزيد قليلاً، ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسًا!.

إن الحق الذي يدّعونه ـ كما يقول الشيخ عبد المعز ـ خرافة وصلافة، فهم لم يقيموا في فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك أسفارهم، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدّعي ملكية الأرض التي أقلّته، أو الشجرة التي أظلته؛ لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟! على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين، وإنما أقاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التي لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض «يهوذا وإسرائيل»، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي، حتى جاءهم الغزو الروماني فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق، ثم جاء الفتح الإسلامي وهم مشردون في الأرض، محرم عليهم أن يقيموا في أورشليم، حتى إن البطريك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يسلمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها.

لقد دخلها العرب وهي خالية من اليهود، بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها، وبقي العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم حق تاريخي[1].

---

(١) انظر: «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» للشيخ عبد المعز عبد الستار ص(١٧ ـ ٢١)، وكتاب «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية؟» لمحمد أحمد أبو فارس ـ بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، وكتاب «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٤٧ ـ ٥٤).

* **مناقشة هادئة:**

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التي زعم بها اليهود أن فلسطين كلها كانت أرض الآباء والأجداد.

□ يقول مؤلف «تاريخ اليهود»: «والذي لا شك فيه أن داود ـ الذي يقال: إن مملكة إسرائيل وصلت في عهده إلى أقصى درجات اتساعها ـ لم يتمكن من فرض سيطرته، لا على المنطقة بين النيل والفرات، ولا على أرض كنعان وحدها، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية، وعلى ذلك فإن الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها في أي وقت من الأوقات لم تكن في العصور القديمة، وإنما في العصر الحديث، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان، وجنوب لبنان وأرض سيناء، وكان ذلك للمرة الأولى عام (١٩٦٧م).

فلم يكن لبني إسرائيل وجود ـ أيام داود ـ لا في أي موقع بالساحل الفلسطيني، ولا في الجليل بشمال فلسطين، بخلاف موقع صغير عند تل القاضي، ولا في صحراء النقب في الجنوب، وكان وجودهم عندئذ منحصراً في بعض المواقع الجبلية في المنطقة الممتدة من دان «تل القاضي» في الشمال إلى «بئر سبع» في الجنوب.

□ لقد انقسمت مملكة إسرائيل التي أنشأها داود ـ عليه السلام ـ ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا، وإسرائيل وقد حكم في أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكًا حتى ابتداء السبي البابلي، وذلك في الفترة من عام (٩٣٠) ق.م، «وفاة سليمان» حتى عام (٥٨٦) ق.م.

□أما المملكة الشمالية، التي كان اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس)، فقد حكمها الابن الثاني لسليمان الحكيم، أي عام (٩٣٠ق.م) وانتهى وجودها سريعًا. ففي عام (٧٢٢ق.م) أغار عليها سرجون الثاني ملك بابل، ودمر وجودها، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وأحل محلهم سكانًا جددًا من أبناء الرافدين. وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا، عاشوا في شغب، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم في أورشليم.

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين، تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

□ «إن المملكة الصغيرة التي أقامها الإسرائيليون في أجزاء من فلسطين ـ والتي لم تضم إليها في يوم من الأيام حتى في عهد سليمان الذي كان يمثّل قمة التواجد الإسرائيلي في فلسطين ـ لم تضم السهل الساحلي الممتد حول غزة وعسقلون واشدود ويافا، ولم تستطع أن تطرد الشعب العربي بقبائله التي بقيت مقيمة في أراضيها، بعد أن عجزت كل محاولات الإسرائيليين لاستئصالهم منها.

فعلى عهد سليمان تقول الأسفار: «جميع الشعب الباقين من الأمورين والحثيين والفرزين واليبوسيين، الذين ليسوا من بني إسرائيل.

أبناؤهم الذين بقوا من بعدهم في الأرض، الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم، جعل عليهم سليمان تسخير عبيد ـ (الملوك الأول ٩ : ٢٠ ـ ٢١).

هذه المملكة سرعان ما بدأت في التمزق والانهيار، ولمّا تعمر أكثر من بعض عشرات من السنين، وحق لها أن تُعرف باسم: مملكة الدماء والفساد»[1] .

❑ لقد كانت المملكة التي أقامها داود عليه السلام قصيرة العمر، فقد انقسمت بمجرد موت سليمان عليه السلام إلى قسمين: أحدهما المملكة الجنوبية أو مملكة يهوذا، وقد اتخذت أورشليم التي استولى عليها داود من اليبوسيين، عاصمة لها. وانتسب إليها اليهود فيما بعد.

❑ أما الثانية فهي مملكة إسرائيل أو المملكة الشمالية، وقد صارت السامرة عاصمة لها، وانتسب إليها السامريون.

وكانت الولايتان الصغيرتان غالبًا في عداء مستمر.

❑ عاشت مملكة إسرائيل نحو قرنين من الزمان، وقد ضمت عشرة أسباط، وكانت أكثر عددًا من أختها مملكة يهوذا أو مملكة الجنوب إلى أن قضى عليها الأشوريين عام ٧٢٢ق.م. وقد اقتلعوا شعبها وحملوه معهم في سبي كبير ثم ذرّوه بين شعوب الإمبراطورية الأشورية. ولم يعرف لهم أثر حتى اليوم، ولم تبق لهم إلا تسمية هي تسمية الأسباط العشرة المفقودين.

❑ لقد استطاعت مملكة الجنوب التي ضمّت سبطي يهوذا وبنيامين أن تقاوم عوامل الفناء بعد أختها مملكة الشمال نحو مائة وثلاثين عامًا إلى أن قضى عليها الكلدانيون عام ٥٨٧ق.م. وأخذوا شعبها سبايا إلى

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨٢ ـ ٨٣).

أرض بابل.

* مملكتا كفر وفساد:

لقد ارتدت المملكتان عن التوحيد إلى الوثنية وما صاحب ذلك من فساد وانحلال منذ اليوم الأول.

❑ وها هو يربعام ـ الذي كان عبدًا لسليمان ـ يستغل رغبة الإسرائيليين الدفينة في عبادة العجول الذهبية ـ كما تقول أسفارهم فأقام لشعبه في مملكة الشمال «عجلي ذهب وقال لهم: هو ذا آلهتك يا إسرائيل..

والزمان الذي ملك فيه يربعام اثنتان وعشرون سنة [الملوك الأول ١٢: ١٤ ـ ٢٠].

وكذلك ضلت مملكة الجنوب التي ولي عليها رحبعام بن سليمان منذ اليوم الأول [انظر الملوك: ١٤: ٢١ ـ ٢٤]، [أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٤ ـ ٢٠].

كان الكفر والوثنية هو طابع مملكة الجنوب طيلة عهود ملوكها: أبيام، واخزيا، يهورام، وعثليا، امصيا، وعزريا، ويوثام، وآحاز، ومنسى، وآمون، ويهو آحاز، ويهو ياقيم، ويهو ياكين، وصدقيا.

❑ لقد كان المجتمع اليهودي في أعوامه القليلة في فلسطين مجتمعًا رعائيًّا أخذ من طبائع المدن الآسيوية الهرمة وعيوبها وخرافاتها.

* والحق أبلج لو يبغون رؤيته:

❑ «في مناظرة أقيمت يوم ٣١ يناير ١٩٦١م بقاعة هيلل بمونتريال في كندا بين المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي وبين السفير الإسرائيلي في كندا ياكوف هرتزوج.. ردّد السفير الإسرائيلي نفس المزاعم التي يرددها الإسرائيليون صباح مساء عما يسمونه بالحقوق

التاريخية في فلسطين، فقال موجهًا حديثه لتوينبي:

«ولكن يا سيدي الأستاذ لنعد إلى مسألة الارتباطات التاريخية التي كنت أشير إليها. لقد ردّدت الصحف قولك: أن ليس لإسرائيل حق تاريخي - فهل أورد بعض حقائق تتعلق بهذا الأمر:

أولاً: أن الإقامة اليهودية في أرض إسرائيل لم تنقطع طوال التاريخ بل كانت إقامة متصلة.

الأمر الثاني: أن العودة لإسرائيل أمر جوهري في عقيدتنا الدينية وفي صلواتنا وأعيادنا، وفي كل وجه من وجوه آمالنا القومية».

*** الرّد:**

إن هذين الزعْمين يمكن إبطالهما بسهولة؛ فبالنسبة للإقامة في أرض فلسطين نجد أن التاريخ في صف العرب، فهم السكان الأصليون منذ آلاف السنين، ومن قبل أن يولد إسرائيل وبنيه، وهم السكّان الذين استمروا فيها آلاف السنين بعد مولد إسرائيل إلى اليوم. ولم يحدث لهم ما حدث للإسرائيليين من سبي وضياع بين الشعوب وتحريم إقامة في فلسطين وفي عاصمتها القدس بالذات:

□ وقال الأستاذ توينبي في رده على السفير الإسرائيلي: هناك شيء في القانون، بل أعتقد في كل أشكال القانون يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم.

□ فإذا أخذنا مثلاً عام ١٣٥ الميلادي باعتباره التاريخ الذي قام فيه الرومان بطرد الجانب الأكبر من سكان فلسطين اليهود - فإذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا أن سقوط الحق لا ينطبق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد في ذلك التاريخ، ماذا يحدث بالنسبة لمدينة كمونتريال؟ لقد كان هنود الألجونكوين يسكنونها منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة على الأكثر،

فهل يقال كذلك بضرورة عودة مونتريال إليهم، وبعودة إنجلترا لأهل ويلز؟

مستر هر تزوج: نعم.

بروفيسور توينبي: أحقًّا؟! إذن فعليك أن ترحّل خمسين مليونًا من الإنجليز (سكان إنجلترا) وتجعل منهم لاجئين!»[1].

* **تنبيه هام:**

لم يسكن أحد من الإسرائيليين مدينة يبوس (القدس/ أورشليم) إلا بعد موسى بأكثر من ٣٠٠ سنة.

ومن الطبيعي أن تكون التوراة قد خلت من كل حديث عن أورشليم (القدس) تصريحًا أو تلميحًا. فلا علاقة لمن يعتنق اليهودية قديمًا أو حديثًا بطقوس في القدس.

* حائط المبكى ملك للمسلمين والمسجد الأقصى ليس على أنقاض هيكل سليمان:

جاء في تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عن حائط المبكى (٣٠ مترًا) في ديسمبر ١٩٣٠م[2].

«إن المسألة التي نبحث فيها الآن تدور حول ملك ما زال في

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» ص(١٠٨ ـ ١١٠).

(٢) هي لجنة دولية برئاسة وزير خارجية السويد وعضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري نشرت تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠م، وقد وافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم، وحكومة بريطانية ـ الدول المنتدبة على فلسطين ـ على قرارات هذه اللجنة. وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها. وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ ذلك اعتبارًا من يوم ٨ يونيو ١٩٣١م.

تصرف المسلمين منذ قرون عديدة. فالبراق جزء من الحرم الشريف، وليس فيه حجر يعود إلى عهد الملك سليمان والممر الكائن عند الحائط ليس طريقًا عامًّا، لكنه أنشئ فقط لمرور سكان محل المغاربة وغيرهم من المسلمين في ذهابهم إلى مسجد البراق، ومن وإلى الحرم الشريف، وبالتالي فهذه المحلة إسلامية بحتة، وبما إنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان، فإن وجودهم عند الحائط في أيام معلومة لا يعني سوى أنه من قبيل التسامح الذي أبداه نحوهم المسلمون، والذي يفوق ما أبداه المسيحيون لهم، ولذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح كوسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة كما يحاولون أن يفعلوا الآن.

إن قدسية الحائط الغربي الذي هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع.

وقد ورد ذكر إسراء النبي ﷺ إلى القدس في القرآن الكريم على الوجه الآتي: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [الإسراء: ١]، إن هذه الأمور توضح صريحًا القدسية الخاصة التي للحرم الشريف والمباني التابعة له في نظر المسلمين في جميع أقطار العالم. أما تقديس الحائط والرصيف فإنه آت من أنه محل البراق، نزل فيه النبي ﷺ ومر به ثم ربط براقه في الحائط نفسه ليلة الإسراء، وبناء على تقديس المسلمين لهذا المحل وقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم.

على اللجنة أن تصدر قرارًا بشأن مطالب وادعاءات اليهود، ومع أن اليهود لا يدعون ملكية الحائط ولا ملكية الرصيف الكائن أمامه (خطاب وكلاء فريق اليهود الختامي ـ مختصر اللجنة ص ٩٠٨) فقد رأت اللجنة

أن من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الوجهة القانونية.

فاللجنة تصرح في هذا المقام استناداً إلى التحقيق الذي أجرته بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير عائد للمسلمين ذلك إن الحائط نفسه ملك المسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف» اهـ.

فمحل البراق ليس لليهود ولا لأحد فيه حق بل من أوقاف المسلمين «وقف أبي مدين الغوث» بحارة المغاربة.

وقال الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً»:

«فأولاً وأصلاً ليست فلسطين «وطنًا تاريخيًّا» لليهود، ضيعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة. فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني. هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم»[1].

*** إحصائية دقيقة بعدد اليهود في فلسطين والقدس:**

١ ـ سنة ٦٣٦م يوم فتح المسلمون القدس، لم يوجد يهوديٌّ واحد.

---

(١) «فلسطين أولاً» لجمال حمدان ص(٢٠٣) ـ مكتبة مدبولي.

٢ ـ في عام ١١٧٠ ـ ١١٧١م زار بنيامين تدولا، الإسباني فلسطين وذكر أنَّ فيها (٢٠٠) يهودي.

٣ ـ وفي القرن المذكور، (١١٧٠ ـ ١١٧١م) لم يكن في القدس إلا يهوديٌّ واحد «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٤ ـ وفي عام ١٢٦٧م كتب موسى بن نحمان جيروندي: أن في القدس عائلتين يهوديتين يعملون في الصباغة «بلادنا فلسطين» ـ ١/ قسم ١/ ٥٥٠).

٥ ـ وبعد ذلك بنحو ثلاثة قرون ١٥٦٠م بلغ عددهم في القدس ١١٥ يهوديًّا.

٦ ـ في النصف الثاني من القرن السابع عشر ١٦٧٠م عجز يهود القدس وعددهم (١٥٠) يهوديًّا عن دفع دينهم البالغ ألف قرش «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٧ ـ إذن من سنة ١٥٦٠ ـ ١٦٧٠م تراوح عددهم من ١١٥ ـ ١٥٠ يهوديًّا. وقبل هذا التاريخ، كان في القدس عائلتان فقط. ونحن نعرف أنّ العهد التركي بدأ سنة ١٥١٦م في فلسطين، ومعنى هذا أنَّ العهد التركي استلم القدس، وفيها عائلتان قد يكونان من خمسة أشخاص، إلى عشرة.. فوصل عددهم إلى المائة في بداية العهد، أو بعد البداية بقرن تقريبًا.

٨ ـ وكان عدد اليهود في فلسطين كلها في النصف الأول من القرن التاسع عشر حوالي ثمانية آلاف يهودي، كما ذكر موسى حاييم منتفيوري، الثريّ الإنجليزي اليهودي (العالم العربي ـ لنجلاء عزّ الدين ص٣٠٠)، وكانوا موزعين على أربع مدن: هي القدس، وطبريا،

والخليل، وصفد.

٩ ـ وفي سنة ١٨٤٥م بلغ عددهم في فلسطين نحو ١٢,٠٠٠ يهودي.

١٠ ـ وفي سنة ١٨٨٢م بلغ عددهم ٢٤,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٨٩٠م بلغ عددهم ٤٧,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩٠٠م بلغ عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٤م بلغ عددهم ٨٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٦ ـ ١٩١٨م بلغ عددهم ٦٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها. ونقص عددهم في هذه الحقبة بسبب الحرب العالمية الأولى.

وفي سنة ١٩٢٢م بلغ عددهم ٨٣,٠٠٠ ألف نسمة، عادوا إلى الزيادة مع العهد البريطاني، وكانت نسبتهم تساوي ١١٪ في فلسطين كلها.

١١ ـ كان عدد سكان مدينة القدس في المدة التي كانت تحت سيطرة إبراهيم باشا المصري ١١,٠٠٠ نسمة وبلغ عدد اليهود من مجموع السكان في القدس (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف نسمة (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م).

◘ ومعنى هذا أنَّ وصول العدد إلى الآلاف كان في عهد إبراهيم باشا، وهذا يدل على أنهم وجدوا نوعًا من التراخي للسكنى في القدس، والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: نقلاً عن المحفوظات الملكية المصرية ـ وهي الأوراق الرسمية

للحكومة) صدر تصريح من الحاكم المصري بترميم كنيس اليهود، على شرط أن لا يُزاد شيءٌ على المباني القديمة.

ثانيًا: أنشأت الإدارة المصرية مجلس شورى في القدس، وكان من بينهم وكيلٌ لطائفة اليهود.

ثالثًا: صدور مرسوم بإلغاء الضرائب والعوائد التي تؤخذ من رؤوس النصارى واليهود.

رابعًا: طلب اليهود في القدس أن يُسمح لهم بشراء الأملاك والأراضي الزراعية وممارسة الحراثة والفلاحة والزراعة، وبيع الأغنام والأبقار وتملك المصابن والمعاصر، ولما عرض الأمر على مجلس الشورى في المدينة رفض الطلب، ولم يسمح لهم بغير الاشتغال بالتجارة. ولما رُفع القرار إلى محمد علي باشا أجاب على الطلب بقوله: «لا يُسمح ببيع الأراضي في القدس ونواحيها إلى اليهود الأجانب، نظرًا لعدم وجود مسوغ شرعي لهذا العمل». «المحفوظات الملكية» (٣/ ٢٣٠).

خامسًا: قال الأستاذ مصطفى الدبّاغ: «ليس في المصادر القديمة، بأنه سُمح لليهود ـ في العهد المملوكي، بزيارة حائط البراق (أو المبكى المزعوم)، ولعله حدث في عهد السلطان سليمان القانوني المتوفى عام ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م) يوم سمح لليهود الفارين من أسبانيا والبرتغال باللجوء إلى طبرية، واشتهر من هولاء اللاجئين (يوسف ناسي) الذي حصل على امتيازات كثيرة من السلطانين المذكورين» «القدس» (٢/ ٢٦٢).

ويظهر أنهم كانوا في ابتداء الأمر يقفون عند الحائط دون إحداث ضجيج.. ولما اشتدت شوكتهم في أيام إبراهيم باشا، أصبحوا يعلنون

عن وجودهم بالبكاء والعويل والصُّراخ، كما تقول الوثيقة المرافقة المنقولة من المحفوظات المصرية سنة ١٢٥٥هـ.

سادسًا: كانت بريطانية قد أعلنت حمايتها للدروز والبروستانت واليهود في سورية وجبل لبنان وفلسطين، وكان من جرّاء ذلك أن أقامت بريطانية بموافقة السلطات أول قنصلية غربية في القدس سنة ١٨٣٩م، وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين، وكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس، كما يقول تقرير القنصلية البريطانية (١٩٣٨ ـ ١٩١٤م) «عن تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٢٧).

سابعًا: وبناءً على ما سبق، أصبح القنصل البريطاني ذا نفوذ عند الإدارة العسكرية يعرض عليها رغبات اليهود المقيمين، والوافدين، بأسلوب يدعو إلى السخرية.. ومن ذلك أن قنصل بريطانية رفع إلى الإدارة أنَّ أحد الرعايا الإنجليز، أو من اليهود، ـ حسب قانون الحماية ـ حصل له (لُطْفٌ) [ربما معناها المرض] ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق (عند حائط المبكى) ويستدعي رخصة بذلك.. [انظر نصّ الطلب، وجواب الموافقة عليه] بعد هذا. والمناقشات التي تمّت حوله. وفي قراءة النص، معرفة ما وصلت إليه اللغة العربية في إحدى العواصم العربية (القدس).

فقد جاء في المحفوظات الملكية المصريّة في ذكرها لحوادث محرم ١٢٥٦هـ آذار ١٨٤٠م حول طلبات اليهود الوقحة بشأن حائط النحيب أو المبكى الذي رُبط به البراق ليلة الإسراء العظيمة ما يلي:

١ ـ [عريضة[1] من إمضاء الحاج محمد شيخ المغاربة بالقدس

(١) ترجمة المكتوب في الفقرة الأولى: أن اليهود كانوا يزورون حائط البراق (المبكى) قبل =

الشريف موجهة إلى إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب: دولتلو[١] سنيّ الهمم كريم الشيم سعادة البيك المفخم أدام الباري شريفَ وجوده. المعروض بساحة المكارم الحميدة أن عبدكم[٢] شيخ فقراء المغاربة المجاورين في الحرم الشريف وفي زاوية (أبا مدين)[٣] أفندم. والكلُّ متقيدٌ بما يجبُ عليه لعدلِ دولتكم العادلة السنية أفندم، وحارة عبيدكم[٤] ملاصقة إلى

= زمن إبراهيم باشا، ولا يرفعون أصواتهم. ومنذ بدأ عهد إبراهيم، أخذوا يرفعون أصواتهم معلنين عن عبادتهم، ثم طلبوا أن يبلطوا الأرض الوقفية أمام الحائط.

(١) دولتو: لا زالت مستخدمة في البلاد العربية في ألقاب رؤساء الوزارات، فيقولون: (دولة فلان).

(٢) قوله: «عبدكم» تدل إلى نوع العلاقة التي كانت بين الشعب والحاكم.

(٣) أبو مَدْين: صوفي أندلسي مشهور ولد في إحدى قرى إشبيلية، وتوفي عام ٥٩٤هـ (١١٩٧م) وقد بلغ منزلة رفيعة في المغرب.. ويظهر أن المغاربة الذين كانوا يفدون إلى بيت المقدس، اتبعوا مذهبه الصوفي. ففي سنة ٧٢٠هـ في عهد السلطان محمد بن قلاوون، أُنشئت في حيّ المغاربة الموقوف زاوية للصوفي أبي مَدْين شعيب بن الحسين الأندلسي، وأصبح الوقف ـ وقف المغاربة ـ يعرف بأوقاف أبي مَدْين الغوث.

(٤) يقصد حارة المغاربة: وقد أوقف الملك الأفضل ـ علي بن صلاح الدين ـ ما يحيط ويتصل بحائط البراق على طائفة المغاربة سنة ٥٨٨هـ ـ ١١٩٣م.

وقد بنيت منازل للوقف متواصلة منذ ذلك الوقت، بحيث أحاط المسلمون من سكانها بمكان البُراق من الخارج إحاطة مؤدية إلى حراسته، وبلغ من تراص هذه المنازل حول هذا المكان الذي هو جدار الحرم الغربي، أن جدار الحرم، وبقية أبنية هذا الوقف، استعمل ممرًّا ليسلك منه السكان المسلمون إلى منازلهم وهذا الممرّ الخاص الموقوف وقفًا إسلاميًّا، لم يمنع المسلمون فيما مضى الزائرين والسائحين من الوقوف فيه للنظر إلى تلك الناحية التاريخية الأثرية من الخارج غير أن اليهود أخذوا تدريجيًّا، يقلبون هذه الزيارة العادية إلى مراسم دينية فانتبه إلى هذا الأمر المسلمون في حينه، فمنعوهم من استخدام أدوات العبادة في هذا المكان..

والقصة التي نعرض لها، هي البدايات الأولى لجرأة اليهود على الأماكن المقدسة عند المسلمين.

حائط الحرم الشريف الذي رُبط (في) البراق ليلة الإسرى البهية، واليهود من قديم يزوروا[١] تلك الحائط زيارة في (الأصبات)[٢] من غير رفع أصواتهم وإظهار مقالهم (ومن ذو أكام سنة كلما لهم في الأذية)[٣] برفع أصواتهم وكثرة جمعياتهم بحيث أن تلك المحل المذكور كل صباح يظن أن به كنيسة لهم، والآن مرادهم بناء الأرض الموجودة بالمحل المذكور بالبـــلاط لتوصلهم لمآربهم فتجاسر عبدكم بتقديم عريضة العبودية لأعتابكم حيث البلاد بلاد دولتكم وبهمتكم في أيام دولتكم لا تحدثُ لهم مرغوبهم المصرّين عليه بلصق حائط البُراق الشريف. رَبَّنا من كرمه وإحسانه يُديم دولتكم، وإذا تحسنُ برأي المكارم إحالة المادة هذه لمجلس الشرع الشريف والأمر أمركم أفندم.

---

(١) يزوروا: هي يزورون، مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، ولكن العربية قد وصلت إلى الحضيض في أواخر العصر التركي، وإذا كان هذا أسلوب الكتابة في القدس، وفي المسجد الأقصى موئل العلماء، فكيف في بقية الأقاليم. وقد أشار إلى الدّرك الذي وصلت إليه العربية في العصر التركي، الشيخ سليمان الفاروقي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٨م) فقال من قصيدة رفعها إليه السلطان محمد رشاد قُبيل الحرب العالمية الأولى:

لسانُهم أخْلَقَ الإغفـــالُ جدَّتَه ... فبات ينعى على الكُتّاب ما كتبوا
تفشت اللهجةُ العجماءُ فيه إلى ... أنْ أنكرته بنوه الخُلّص النُّجُب
أيســـتهانُ به والدين جـــاء بـه ... ودونه ألسُنٌ من دونها القُضُبُ؟
بِضْعٌ وعشرون مليونًا لهم لغــةٌ ... تَمُوتُ ما بينهم يا شدَّ ما غُلبوا

(٢) الأصبات: يقصد «الأسبات» جمع يوم السبت.

(٣) «ومن ذو أكام سنة» أي: منذ سنوات قليلة. وقوله: «كلما لهم في الأذيّة» أي: أخذتْ أذيتهم في ازدياد. . ، والمكتوب ليس تركيًّا، وإنما هو (عربكي).
والخلاصة أن تعبير المعروض يُفهم منه أن أذية اليهود أخذت في ازدياد منذ بداية العهد المصري؛ لأنهم وجدوا رعاية خاصة من السلطان الحاكم.

٢ ـ رأي مجلس شورى القدس في عريضة الحاج محمد: لدى المذاكرة على هذا الإعراض المتقدم لسعادة حكمدار حلب المحترم من الشيخ محمد شيخ المغاربة بخصوص اليهود وأحداثهم، وشرح سعادة المشار إليهم للمجلس الأمر برؤية هذه المادة وأن القديم يبقى على قدمه رؤي أنَّ المحل المذكور الذي مُراد اليهود أن يبلطوه فهذا أولاً ملاصق لصور الحرم الشريف ومحل ربط البراق الشريف، والثاني أنه ليس لهم به حق حيث أن هذا المحل هو طريق مستمر في حارة المغاربة يُتوصل به إلى دور الوقف سيدنا أبي مَدْين الغوث قدس سره، وثالثًا: أنّه ما سبق لليهود أن[1] يعمروا في تلك المحل مطلقًا، ولا يجوز شرعًا أن الأجنبي يعمّر في ملك الغير خصوصًا، وأن طائفة اليهود ليس لهم شرعًا أن يحدثوا شيئًا زيادة عن القديم[2] بل يبقى القديم على قِدَمه، ولا سبق لهم في هذا المحل عمروا شيء، وقد صدرت الأوامر الشريفة السرّ عسكرية في مثل ذلك أنهم لا يحدثوا شيئًا مُطلقًا، بل يبقى القديمُ على قدمه. ومن حيث الحالة هذه واليهود الآن مرامهم الإحداث اقتضى إفادة حضرة متسلم القدس الشريف لأجل حالاً يمنع اليهود المذكورين من التعمير ومن الإعلان بأصواتهم بقرب الحرم الشريف بل يكونوا على حسب عادتهم

---

(١) قوله: «إنه ما سبق لليهود أن يعمروا» أي: لم يسبق لهم أن عمروا. وليست لهم ملكية قديمة فيه.

(٢) قوله: زيادة عن القديم: توحي بأن لهم [illegible]. وإنما يقصد: القديم بالنسبة إلى الكاتب. أي: منذ بدأ تسربهم إلى القدس من أيام سليمان القانوني. فهم لا قديم لهم قبله. وحتى الكنيس الذي سُمح لهم بترميمه ليس قديمًا. ومن أين لهم القِدم، وهم ممنوعون من سُكنى القدس، ويوم شرط عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن لا يساكنوا النصارى في بداية الفتح، لم يكن لهم كنيسة.. فمتى بَنَوا هذا الكنيس؟

فقط. فبناءً على ذلك صدرت هذه الخلاصة من مجلس شورى القدس الشريف لحضرة السيد أحمد آغا الدزدار[١] قائمقام ملكية متسلم القدس الشريف ليجري العمل بموجبها ٥/ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ.

٣ ـ تعليق إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ: «حضرات أرباب مجلس شورى القدس الشريف: غِبَّ مطالعة هذا الإعراض تُنظر هذه المادة بحق اللّه تعالى والقديمُ يبقى على قِدمه من دون إحداث شيء.

٤ ـ صورة فرمان شريف سرّ عسكري[٢] صادر في ١٤ شوال سنة ٥٥ مضمونه الشريف: وردت ورقة من قونسلوس دولة الإنكليز ويذكر أن واحد مِن الرعايا كان حصل لهُ لطف ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق ويستدعي رُخصة بذلك فيلزم تعطوا إلى الرعايا المذكورة الرخصة بتبليط الزقاق المذكور ويكون معلومكم[٣].

حضرات أرباب مجلس شورى القدس المحترم: اطلعنا على

---

(١) دُزدار: بضم الدال المهملة وسكون الزاي: لفظ أعجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي و«دُز» معناه القلعة، و«دار» حافظ فتصبح «حافظ القلعة»، ومنه «خازندار» أي: حافظ الخزنة.

(٢) سر عسكري: منسوب إلى «سرّ عسكر» وكان إبراهيم باشا قد اتخذ لقب «سرّ عسكر بلاد العرب»، ولذلك يروى أن محمد علي باشا بعث لولده إبراهيم، أنه لا يوافق على لقب «سر عسكر بلاد العرب» الذي اتخذه إبراهيم باشا لنفسه ويوجب الاكتفاء باسم «إبراهيم» كما اكتفى هو بالاسم «محمد علي»، ثم يقول لولده: إنَّ هذه الألقاب جوفاء لا تليق بإبراهيم، وإن إذاعتها يدل على الضعف لا القوة.

(٣) قوله: «فيلزم تعطوا» مفهومها أن سرّ عسكر بلاد العرب، إبراهيم باشا، وافق على طلب قنصل بريطانية، ويطلب من مجلس الشورى الموافقة على ذلك.

خلاصة حضراتكم المحرر جانبه اقتضى حررنا لحضراتكم صورة الأمر الشريف السر عسكري قايمقام ملكية السيد أحمد دُزدار متسلم القدس الشريف.

٥ ـ العريضة التي رفعها المجلس المذكور إلى الباشمعاون الخديوي في ٨ ذي الحجة ١٢٥٥هـ: «إلى الباشمعاون الخديوي المعروض لدولتكم العلية لدى المذاكرة على هذا المعروض المتقدم لسعادة حكمدار حلب من شيخ المغاربة بالقدس المشروح باطنه بخصوص تبليط اليهود زقاق البراق الكائن بحارتهم بقرب دور وقف سيدي أبي مدين الغوث قدس سره الملاصق لصور الحرم الشريف وشرح المشار إليه للمجلس بالأمر بإبقاء القديم على قدمه من دون إحداث شيء.

* **تنبيـــه:**

حتى النكبة ١٩٤٨م لم يزد مجموع ملكيات اليهود عن ٥٫٦٪ من أراضي فلسطين الزراعية، أقلّه اشتُرِي بالابتزاز والطرق الملتوية، وأغلبه عملية نزع ملكية عامة بالاحتيالات القانونية.

فانظر إلى التزوير الوقح والمعيب للتاريخ حين يقول أولاد الأفاعي وأبناء الحيات وإخوان القردة والخنازير أن لهم حقًّا تاريخيًّا في الأرض المقدسة المباركة الطاهرة أرض فلسطين وبيت المقدس.



عدد اليهود في القدس[١]

السنة	العدد
٦٣٦م	لا يوجد يهودي واحد
١٢٦٧م	عائلتان يهوديتان
١٥٦٠م	١١٥ يهوديًّا
١٦٧٠م	١٥٠ يهوديًّا
١٨٣٨م	٣٠٠٠ يهودي
١٨٤٤م	٧١٢٠ يهوديًّا
١٨٧٦م	١٢٠٠٠ يهودي
١٨٩٦م	٢٨١٢٢ يهوديًّا
١٩٢٢م[٢]	٣٣٩٧٠ يهوديًّا
١٩٣١م	٥١٢٢٢ يهوديًّا
١٩٤٤م	٩٧٠٠٠ يهودي
١٩٦٧م[٣]	١٩٧٧٠٥ يهودي
١٩٧٥م	٢٥٩٤٠٠ يهودي
١٩٨٥م	٣٢٧٧٠٠ يهودي
١٩٩٣م	٤٠٦٤٠٠ يهودي
١٩٩٨م	٤٢٠٠٠٠ يهودي

(١) جمعت من مصادر علمية موثقة.

(٢) في فترة الانتداب البريطاني.

(٣) في ظل الاحتلال الإنجليزي للقدس بشِقَّيها.

*** حقيقة دامغة:**

إذا حسبنا عمر دولتا اليهود في القدس وفلسطين قديمًا تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان، (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

وكان ختام الوجود اليهودي في فلسطين في عهد الرومان عام ٧٠م.

*** حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم:**

وقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين: تدمير سيادتهم بالأسر البابلي، وإنهاء وجودهم بالسحق الروماني، وذلك في الآيات الكريمة: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾.

﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا** ﴾.

﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾.

﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا**

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٨].

* **آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر:**

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوي والشيخ عبدالمعز عبد الستار[١] وغيرهما إلى أن المرة الأولى في إفساد بني إسرائيل كانت في عصر النبوة بعد البعثة المحمدية، وهي ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وأهل خيبر، من كيد وبغي على الرسول ﷺ وأصحابه، وقد نصرهم اللَّه عليهم.

وكان العباد المسلطون عليهم هم النبي ﷺ والصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى اللَّه بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾. أما إفسادتهم الثانية فهي ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم، وانتهاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسفك للدماء، وغيرها.

وسيتحقق وعد اللَّه تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل.

* **تفنيدنا[٢] لهذا الرأي وأدلة ذلك:**

ورأيي أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه:

أولاً: أن قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي:

---

(١) والدكتور صلاح الخالدي وغيرهم كما سنبين في فصل لاحق.

(٢) هذا التفنيد للشيخ القرضاوي في كتابه «القدس» (٦٠ ـ ٦٣).

أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب، والمراد به: التوراة، كما قال قبلها: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وما جاء في الكتاب أي أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا: أن قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قطعوا في الأرض أممًا.

ثالثًا: أن الرسول ﷺ والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار، وإنما هي ديار العرب في أرض العرب.

رابعًا: أن قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ لا يعني أنهم من عباده الصالحين، فقد أضاف اللَّه تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

خامسًا: أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

يتضمن امتنان اللَّه تعالى عليهم بذلك، واللَّه تعالى لا يمتن على بني إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين.

سادسًا: أن اللَّه تعالى إنما رد الكَرَّة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم في المرة الأولى؛ لأنهم أحسنوا وأصلحوا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، واليهود ـ كما عرفناهم

شاهدناهم ـ لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط اللَّه عليهم هتلر وغيره. كما يبتلي ظالمًا بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا، فمتى أحسنوا حتى يرد اللَّه لهم الكرة علينا؟!.

سابعًا: أن اللَّه تعالى قال في المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم. إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا: أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرتي الإفساد قد وقعتا، وأن اللَّه تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر والهوان والتدمير على أيدي البابليين الذين محوا دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمروا هيكلهم تدميرًا، وكذلك ضربة الرومان القاصمة التي قضت على وجودهم في فلسطين قضاء مبرمًا، وشردتهم في الأرض شذر مذر، كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة اللَّه تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالنعل والنعل لها حاضرة!

* يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وهذا الدمار الأول، الذي تم على أيدي البابليين، وتحدث عنه القرآن الكريم على النحو الذي نراه كان بالغ التأثير على اليهود. فقد أزال معظم الوجود اليهودي من فلسطين. وظهر من السهولة التي أجلى بها البابليون سكان (منطقة إسرائيل)، على يد «سرجون»، ثم سكان (منطقة يهوذا)»، على يد «نبوخذ نصر». أن جذور هؤلاء القوم لم تكن عميقة في أرض فلسطين، وإذا استثنينا المعبد وقصر سليمان، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تسعة قرون قبل هذا الإجلاء. وكل ما يمكن أن نقوله: إنهم أقاموا في جزء من أرض كنعان، بما فيها من قرى صغيرة. وحتى المدن كانت أشبه بالقرى، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس)[١].

*** حقيقة هامة:**

كتب الدكتور حسّان حلاق في «صحيفة النهار» اللبنانية فقال:

منذ أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) تنبه إلى خطورة إشغال الأراضي الفلسطينية لا سيما من اليهود، لهذا فقد أصدر منذ فترة مبكرة فرمانات سلطانية عدة تمنع إقامة اليهود الدائمة في فلسطين. وفي عام (١٨٨٢م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنى رداً على محاولات «جمعية أحباء صهيون»: الحصول على إذن رسمي بالهجرة، وقد حاول في الفترة ذاتها «لورنس أوليفانت» (L. oiphant) أن يوسط إستراوس السفير الأمريكي في الآستانة

(١) انظر «القدس ومعاركنا الكبرى» لمحمد صبح ص(٢١٨ ـ ٢٢٠).

للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثاني: «أن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود في فلسطين يكون أساسها الدين، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضي العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا القوانين المعمول بها في الإمبراطورية.

لهذا فقد حرص السلطان عبد الحميد على تعيين متصرفين في فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية، واستقرار اليهود في مدنها، وكان في مقدم هؤلاء متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٦ ـ ١٨٨٨م)، وعندما تيقنت الدولة العثمانية أن بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالي قرارًا في (٢٩ حزيران ١٨٩٢م) تضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين، وتكررت هذه الفرمانات، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها في دعمها الهجرة اليهودية.

هذا وقد أكد وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية، ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطاني في القدس حينما أشار في تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى أن التعليمات الصادرة من الباب تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار في فلسطين غير مسموح بها، أما الذين يرغبون في زيارة البلاد كحجاج فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر

أو شهرين ينبغي عليهم بعدها مغادرة البلاد.

لقد حاول الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة، ووسّط لهذه الغاية: البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا، والقوى الأمريكية وبعض الأوساط التركية، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدول العثمانية، ومما قاله: «إن القضاء على الدولة العثمانية أو تقسيمها هو الحل الوحيد لقيام الدولة اليهودية، إنه إذا تم تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة الصهيونية التي تقام في فلسطين حاجزًا، أما إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سندًا قويًّا بالمال إذا هو تخلى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده، (يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٩٦م). وكان ما كان، مما قصصناه قبل الآن، من أمر هرتزل والسلطان.

*** مزاعم إسرائيل الدينية في القدس وفلسطين:**

يعتقد اليهود أنهم شعب اللَّه المختار، والأمة المفضلة على سائر الأمم، وأنهم بنو إسرائيل، وأن ثمت ميثاقًا إلهيًّا ربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه اللَّه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ميثاق سرمدي إلى قيام الساعة. وأنه لابد من قيام دولة يهودية تجمع اليهود في فلسطين.

*** وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية للشيخ يوسف القرضاوي:**

□ يقول ـ حفظه اللَّه ـ : «أحب أن أقف وقفة متأنية أمام ما زعمه

كتبة «العهد القديم» من نصوص تقول: إن اللَّه وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يعطي لنسله أرض فلسطين، وكذلك وعد ابنه إسحاق، ووعد حفيده يعقوب الذي سمَّوه «إسرائيل»، وعلى هذا الأساس سموا هذه الأرض: أرض الميعاد. في هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة:

من هم نسل إبراهيم؟

أولاً: ما المقصود بنسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ أهم أبناؤه من صلبه، أم أبناؤه الروحيون؟ أعني: الذين يتبعون ملَّته، وينهجون نهجه، ويهتدون بهداه؟ أما أبناؤه وأحفاده من صلبه، فهم ـ مثل أبيهم إبراهيم ـ لم يملكوا من هذه الأرض شبرًا واحدًا. فما المقصود بالأبناء إذن؟.

إن المنطق الملائم للنبوة وللخلة التي تميز بها إبراهيم (خليل اللَّه): أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه، وهذا ما ذكره القرآن حين قال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [آل عمران: ٦٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة، وأن الظالمين لا يستحقون عهد اللَّه؛ لأن ما عند اللَّه ينال بالأعمال، لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

وقد برئ إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدو للَّه، كما برئ من قومه لما كفروا باللَّه، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم؟!

ثانيًا: لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول؟ ولماذا انحاز اللَّه ـ الحكم العدل ـ إلى بني إسرائيل ضد بني إسماعيل؟!.

□ لقد ذكرت التوراة ـ في سفر التكوين ـ أن (إسماعيل ابن إبراهيم) في أكثر من اثني عشر موضعًا. إلا أن الإسرائيليين يقولون: إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرة سارة، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم؟ وكلاهما نبيًّا ورسولاً من عند اللَّه؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم؟.

□ وهنا سؤال آخر مهم ـ سأله لهم. د. حسان حتحوت ـ عن أبناء إسرائيل (يعقوب) ـ الاثنى عشر، فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل تزوج ابنتي خالته: راحيل وليئة، وجاريتيهما: زلبا وبلحا، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل، فلم اعتبرتموهم من بني إسرائيل، ولم تنقصوا من بنوتهم مثقال ذرة؟ وهنا لا يجدون جوابًا. هذا، وقد استمر التسري بالجواري في بني إسرائيل، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أن داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجواري، وأما ابنه سليمان فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية. ولا نزاع في أن هؤلاء الجواري أنجبن أولادًا لداود وسليمان، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السراري من بني

إسرائيل، فما يقول اليهود في ذلك أيضًا؟.

*** الحكم العدل حرّم الظلم على نفسه:**

ثالثًا: كيف يعطي اللَّه ـ الحكم العدل، الذي حرم الظلم على نفسه، وحرمه على عباده ـ أرضًا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًّا مستقرًّا، لفئة من الناس، هم دخلاء على هذه الأرض، غرباء عنها، وأين عدل اللَّه تعالى وقسطه، وهو يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين؟

*** وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه:**

رابعًا: هل هذا الوعد ـ إن صح ـ بمنح هذه الأرض: وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطًا فهل تحققت شروطه؟ الذي يقرأ «الكتاب المقدس» عند النصارى ـ وخصوصًا أسفار العهد القديم، يجد أن وعد اللَّه لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم، ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه، حتى يكونوا أهلاً لنصر اللَّه وتمكينه، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية، والحكمة الربانية، فإن اللَّه لا يعامل الناس بأنسابهم، بل بأعمالهم.

*** اليهود نقضوا عهد الرب:**

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

التثنية/٦: ١٨: «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته، وفرائضه التي أوصاكم بها».

التثنية/٦: ١٨: «اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك».

التثنية/٧: ١١: «فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا

أوصيك اليوم لتعلمها».

▫ هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية ـ العهد القديم ـ تشرح الشروط وتفصل الأسس التي جعلها الرب «رب بني إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن.. هل أدى.. والتزم.. وحافظ الطرف الثاني على ما أمره الرب به؟

الكتاب المقدس ـ الذي هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية، واتباعه طاعة لأوامر الرب ـ يسجل:

أولاً: سفر الخروج/٣٢: ٢ ـ ٣ ـ ٤: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكًا[1]، فقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر».

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون اللَّه الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا ـ من جانبهم ـ بقيادة هارون (شقيق النبي موسى)! شروط وأسس «العهد».

ثانيًا: النبي إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات:

---

(١) في القرآن: أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل هو السامري، وأن هارون ـ عليه السلام ـ أنكر عليهم هذا العمل، ولكنهم لم يسمعوا له. انظر الآيات (٨٥ ـ ٩٨) من سورة طه، وفيها: ﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري* قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾.

الملوك الأول/٩: ١٠: «.. لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف.. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها».

ثالثًا: النبي موسى عليه السلام «ذاته» (أي قبل النبي إيلياه عليه السلام) كان قد قال:

التثنية/ ٩: ٢٣ ـ ٢٤: «يقول موسى: عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم».

رابعًا: الرب نفسه يقول ليشوع:

يشوع/ ٧: ١١: «الرب يقول: قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا..».

ملاحظة: «أخطأ إسرائيل» في هذا النص تعني: ارتكبوا خطيئة.

خامسًا: خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول:

نحميا/ ٣: ٢٠: «حقًّا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب».

سادسًا: نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بني إسرائيل:

عدد/ ٣٢: ١٤: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضًا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكي تزيدوا أيضًا حنق (غضب) الرب على بني إسرائيل».

سابعًا: ميخا/ ٣: ٩ ـ ١٠ ـ ١١: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤساؤها

يقضون بالرشوة، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة، وأنبياؤها يعرفون بالفضة. .».

نكتفي بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد» الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما.

أيضًا في العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم».

أولاً: يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب:

متى/ ٢١: ٣١: ٤٣: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم أن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت اللَّه؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت اللَّه ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل آثاره».

ثانيًا: يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل:

متى/ ٣: ٧: «قال لهم. . يا أولاد الأفاعي».

ثالثًا: يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل:

متى/ ٢٣: ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم».

❑ هكذا. . . واستنادًا على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفيًّا في هذا الفصل، يتضح أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياه وأرميا وعزرا، ونحميا وميخا، ويوحنا المعمدان، وأخيرًا

في زمن يسوع المسيح، خرقت ـ من جانب واحد ـ شروط وأسس وبنود «العهد» الذي أبرم بين اللَّه وإبراهيم، خرقت مرارًا ومرارًا ـ وفي عصور كثيرة، وعليه يبرز التساؤل:

وهل ـ بالرغم من هذا الاستهتار «بعهد الرب» وخرقه ـ لا تزال قائمة حقوق توراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا، ومصر والأردن؟ لجماعات مثل «الفلاشا» الأثيوبيين، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكيبوتز) باسم «عهد» خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون ـ مرات ومرات ومرات ـ في حقبات مختلفة من التاريخ؟ هل في مثل هذه المطالبات بحقوق.. ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟[1].

*** منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون:**

إن منطق القرآن: أن اللَّه تعالى يعطي الأرض ويورثها للصالحين من عباده، وليس لعرق من العروق، وجنس من الأجناس، فاللَّه تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم، بل بإيمانهم وأعمالهم، وتقواهم للَّه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

* يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا،

---

(١) انظر «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟» لمحمد أحمد أبو فارس ص(٣١، ٣٢).

وكذبوا رسل اللَّه وآذوهم وصدوا عن سبيل اللَّه.

* كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

ولقد كانت الأمة الإسلامية هي الأمة المؤهلة لوراثة أرض النبوات، وتحقيق وعد اللَّه لإبراهيم في أن يعطي هذه الأرض لنسله ـ إن صحت هذه النبوءة ـ فها هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، بل ها هم أبناء إبراهيم الروحيون، الذين هم أولى الناس به، وأتبعهم لملته، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها، وأقاموا فيها العدل والإحسان، أربعة عشر قرنًا من الزمان. وهم أصحاب الأرض وأهلها، وهم باقون فيها إن شاء اللَّه حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها، ووجودهم في هذه الأرض هو الوجود الشرعي الوحيد الذي يقره اللَّه ورسوله والمؤمنون، وكل المنصفين من عباد اللَّه. وأما وجود الصهاينة فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم، يستحيل أن يدوم. فهو حتمًا إلى زوال. وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧][1].

* حقيقة يذكرها الدكتور جمال حمدان:

وأكرر قول الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٠٣ ـ ٢٠٤): «فأولاً وأصلاً ليست فلسطين وطنًا تاريخيًّا لليهود، ضيّعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية

(١) «القدس» للشيخ القرضاوي ص(٧٣ ـ ٨٢).

منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة، فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني، هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى، ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم».

* **وأخطر من هذه الحقيقة:**

ثم استطرد الدكتور جمال حمدان قائلاً: «ولكن لا يقل خطورة عن هذا القول بأن هناك علاقة بين يهود اليوم واليهود الذين خرجوا من فلسطين منذ ٢٠٠٠ سنة. فالثابت عمليًّا أن يهود الخروج ذابوا في الشتات تمامًا دمويًّا ودينيًّا، بالتزاوج والتحول، ويهود اليوم هم نسل متحولين إلى اليهودية وليسوا من سلالة بني إسرائيل التوراة، ليسوا ساميين بل أوربيون أو أمريكيون من سلالات ألبية ونوردية وسلافية.. إلخ. وحين يدّعون أرض فلسطين اليوم، فهي مطالبة غرباء أجانب تمامًا بأرض لم تطأها قط أقدام أجدادهم بالدم، تمامًا كما لو ادعاها اليابانيون مثلاً أو الإسكيمو!».

* **للّه درك يا جمال حمدان:**

«اليهود ليسوا من بني إسرائيل»

□ يقول د. جمال حمدان ـ رحمه اللّه ـ: «والحقيقة التاريخية التي نود أن نصر عليها بشدة هي أن «اليهود ليسوا من بني إسرائيل»، بمعنى أن

الصهيونيين الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا من نسل بني إسرائيل التوراة، أو سلالتهم، سواء مباشرة أو غير مباشرة، حقًّا إن بني إسرائيل التوراة بدءوا كموجة أو شعبة من الشعوب السامية التي ينتمي إليها العرب، ولغة كلٍّ لغة سامية. وحقًّا إن أصلهم يرقى إلى يعقوب حفيد إبراهيم بمثل ما أن العرب تنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم. وحقًّا كذلك قامت لهم دولة في جزء داخلي من فلسطين استمرت قرونًا أربعة إلا قليلاً هي القرون التي تسبق التاريخ المسيحي مباشرة.

ولكن ماذا إذن؟ لسنا نريد بعد هذا أن نقول إن تاريخهم الذي كان ـ بشهادة كل الأديان ـ سجلاً بشعًا من سفك الدم والغدر والفساد كان عابرًا قصير العمر هناك. ولم يزد عن أن يكون مجرد جملة اعتراضية في تاريخ فلسطين. ولسنا نريد أن نقول إن فلسطين كانت كنعانية (عربية) قبل بني إسرائيل لألف سنة على الأقل، وعادت عربية بعدهم لنحو ألفي سنة على وجه التقريب. فهذا كله وإن كان صحيحًا، فإنه يهمل قضية حاسمة خطيرة، وهي أن يهود العالم اليوم لا علاقة لهم البتة بتلك القبيلة الغابرة إلا علاقة ادعاء موهوم وانتحال.

ذلك أن الأدلة التاريخية توضح أن الإسرائيليين الذين فروا من مجازر الرومان وخرجوا من فلسطين بعد سقوط أورشليم لم يكن عددهم ليزيد عن بضع عشرات من الآلاف أو مئات من الآلاف على الأكثر. وأهم من هذا ما حدث لهذه الشراذم والشظايا المتطايرة في المهجر منذ أن بدأ الشتات (الياسبورا). فقد تشتَّت أغلب هؤلاء في بلاد البحر المتوسط ابتداء من تركيا حتى أسبانيا ومن العراق حتى المغرب. وفي هذا الوسط الجديد الذي ظلت أجزاء منه وثنية لقرون بعد ذلك، لم

يبدأ تقوقعهم وعزلتهم المعروفة إلا بعد أن كانوا قد اختلطوا وتزاوجوا بدرجة أو بأخرى مع السكان الأصليين. وفي هذا الاختلاط لم يفقدوا نقاوة دمائهم الجنسية فحسب، وإنما تحوّل كثير من الأهالي الوثنيين إلى اليهودية عند التزاوج معهم.

ومعنى هذا أنهم اليوم ليسوا نسلاً خالصًا للمهاجرين الإسرائيليين أولاً، وأنهم ثانيًا: إن لم يكن قد ذابوا بدرجة أو بأخرى فإن جزءًا منهم كبيرًا ليسوا إلا قطاعًا من جسم الأهالي الوطنيين أنفسهم. هؤلاء هم اليهود «السفاراديم» الذين لا يمثلون اليوم إلا ٢٠٪ من مجموع يهود العالم.

الأشكناز أوروبيون تهوَّدوا

وتبقى الأغلبية الساحقة - ٨٠٪ - وهي الشكناز (الأشكنازيم) الذين يشملون يهود أوربا والعالم الجديد. أصل هؤلاء الثابت علميًّا وتاريخيًّا أن أعدادًا ضئيلة للغاية من يهود الانتشار تسللوا إلى جنوب أوروبا ووسطها وشرقها حيث كان المناخ الديني السائد لا يزال الوثنية. وهناك لم يتزايد اليهود أو تتوسع اليهودية بالتكاثر. وإنما أساسًا وفي الدرجة الأولى بالتحول والتبشير. فالتزاوج القليل الذي كان يمكن أن يتم كان يعني أن يتحول الأهالي من الوثنية إلى اليهودية وليس العكس بداهة.

ولكن المهم أن التاريخ يسجل هنا موجات وعمليات ضخمة من التحول بالجملة إلى اليهودية وصلت أحيانًا إلى حدود الملايين. ولعل مثلاً واحدًا يكفي هنا: تحول الخزر في القرن الثامن الميلادي.

من نسل هذه الملايين المتحولة يأتي يهود الأشكناز مباشرة. ومعنى هذا أن يهود أوربا ليسوا إلا من أبناء تلك البلاد، وأنهم بالجنس والسلالة

أوربيون لحمًا ودمًا ـ روس أو بولنديون، نمسويون أو ألمان، تشيك أو رومانيون. . إلخ. معناه أنهم لا علاقة لهم إطلاقًا ببني إسرائيل التوراة ـ إلا في العقيدة المستعارة. أما دون ذلك، أما من حيث الموطن والسلالة، من حيث الدم والعرق فهم أوروبيون من قمة الرأس إلى أخمص القدم. والأدلة والوثائق التاريخية الثابتة تؤكد هذا الانتماء بينما تثبته الدراسات الأنثروبولوجية كل يوم بالمقاييس الجسمية لليهود والتي لا تختلف بتاتًا عن السكان الأصليين الذين يعيشون بينهم.

آريون لا ساميون

باختصار إذن اليهود جملة وتفصيلاً ليسوا من بني إسرائيل ليس هناك «يهودي تائه» أو متجول، وإنما هناك ببساطة يهودي متحول. ولهذا فإنهم حين يتجهون الأن إلى فلسطين فإنهم لا يعودون، وإنما يغتصبون: ليست هي عودة الغائب الذي يئوب ولكنها غزو الأجنبي الدخيل الذي يعتدي ويسلب، وليست فلسطين «أرض الميعاد» أو الأجداد في أي معنى ولكنها مجرد أرض الرسالة والعقيدة فقط. أبعد من هذا، ليس اليهود «ساميين» في أي معنى رغم ما في هذا من تناقض ساخر كما سنرى ـ فهم ـ الشكناز منهم على الأقل ـ أريون أو هندو أوربيون لا يختلفون في ذلك عن الشعوب التي ينتمون إليها جنسيًّا. وهم حين يلتقطون العبرية من متحف اللغات الميتة لينفثوا في عظامها النخرة الحياة بالقسر والابتسار فإنما ينتحلون لسانًا غريبًا مثلما هو من قبل أصلاً مكتوبًا.

والموقف كله من الغرابة والشذوذ بل السفه بمثل ما لو هب الستمائة أو السبعمائة مليون من البوذيين الصينيين والهنود الصينيين اليوم فقرروا أن الهند ـ وهي الموطن الأصلي للبوذية وإن كانت تخلو منها الأن ـ

ينبغي أن تكون «الوطن القومي» للبوذية وأن يهاجروا إليها ليقيموا دولتهم فيها! والتشبيه على غرابته صحيح في كثير من جزئياته بما في ذلك أن الصينيين والهنود الصينيين ليسوا من نسل سكان الهند أكثر مما أن يهود أوروبا وأمريكا من نسل إسرائيل. أما اليهود الذين هم اليوم من نسل إسرائيل حقًّا فهم البضعة عشر ألفًا التي كانت بفلسطين العربية حتى سنة ١٩٠٠م تقريبًا، يُضاف إليهم ولكن بدرجة كبيرة من الشك والحذر بضع مئات من الآلاف من يهود «السفارديم» في البلاد العربية، لهذا جميعًا فالصهيونية مجتمع دخيل تمامًا على فلسطين، وليس لهم فيها جذور أو أصول ـ أو حق بالتالي ـ سواء بالتاريخ أو الجنس، سواء باللسان أو الدين، وهم يدعونها وينتزعونها»[١] .

□ ويقول أيضًا تحت عنوان: «مجتمع خلاسي طائفي»:

«ليس على ظهر الأرض ـ ومساحتها ٥٧ مليون ميل مربع ـ ٧٩٠٠ ميل مربع تضم ولو قدرًا ضئيلاً من التنافرات والأخلاط التي تضمها إسرائيل، بل ليس هناك قارة من القارات ـ حتى أمريكا ـ تقارب ما في المسخ الإسرائيلي من تباين وتناقضات بشرية. وإذا استبدلنا البعد المكاني بالبعد الزماني فاستعرضنا أضخم الإمبراطوريات في التاريخ وأشدها تخليطًا ـ ابتداء من روما عبر شارلمان وإمبراطورية النمسا والمجر حتى الإمبراطورية، التي لم تكن تغيب عنها الشمس بكل ما تضمه من شعوب متباينة وقوميات شتى ـ فلن تجد منها ما يقارب إسرائيل الميكروسكوبية ـ كدت أقول الميكروبية! ـ تنافرًا وخلاسية. أما لكي تجد هذا المثيل فلا بد أن توسع دائرتك لتشمل العالم كله، نعم كله. فلا

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٥٤ ـ ٢٦٠).

يكاد يوجد على ظهر الأرض جنس رئيسي أو ثانوي، قومية أو شعب، لغة أو ثقافية، لا تتمثل في إسرائيل.

□ ويقول: «إن جميع الألوان بكل درجاتها وظلالها تتمثل في سكان إسرائيل كقوس قزح بشري شديد الغرابة، فإلى جانب اليهود البيض الأوربيين من إشكناز وسفارديم يوجد اليهود السمر الشرقيون من اليمن والهند، وإلى جانب اليهود الصفر الأسيويين يوجد «اليهود السود»، كالفلاشا الحبشية.. إلخ. متحف جنسي خلاسي لا مثيل له في العالم.. ولقد نحكم له بأنه متحف حي ولكن هذا في ذاته وفي الحقيقة حكم عليه بالموت كدولة سياسية.

□ وأما قوميًّا فيكفي أن نذكر أن إسرائيل تلقت من يوم قيامها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى منتصف ٦١ بالتحديد مليون مهاجر بالضبط يرجعون في أصولهم ومصادرهم إلى ٧٩ دولة! فإذا عرفنا أن الدول المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة تعدت أخيرًا فقط المائة بقليل، فلن نبعد عن الحقيقة كثيرًا إذا افترضنا أن إسرائيل في مجموعها ـ نحو ٢,٢٥ مليون نسمة ـ تضم ممثلين لكل دولة في العالم تقريبًا. ولهذا وكما في الولايات المتحدة فليس هناك إسرائيلي إلا وله صفة جنسية أخرى، فهو إما إسرائيلي روماني، أو إسرائيلي ـ إيطالي أو تركي أو هندي.. إلخ.

وهذه الثنائية المزيفة لا تعني إلا انفصامًا في الجنسية وانعدامًا للقومية. وهي تفسر أيضًا ذلك التعدد المذهل في الأحزاب السياسية والتكتلات والمنظمات الحزبية التي تقدم قائمة مرهقة لا نهاية لها من وحدات مفتتة تفتيتًا ذريًّا. ومعنى هذا جميعًا أن إسرائيل في جوهرها وعلى ضآلتها العامة «دولة أقليات» لا يعرف العالم لها مثيلاً»[1].

---

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٦٢ ـ ٢٦٤).

*** وغاب عنه ـ رحمه الله ـ:**

غاب عنه ـ رحمه اللَّه ـ أن الذي يجمع هذا الشتات هو الدين والدين فقط فاليهودية جنس ووطن ودين وليس غير هذا يجمع هذا الشتات المتنافر.

*** خيانة بل خيانات:**

ومن هنا ندرك قول من خانوا، وقالوا: إن اليهود والعرب أبناء عمومة، فقد قال فيصل بن الحسين الهاشمي مخاطبًا القاضي الأمريكي اليهودي (فيلكس فرانكفورتر في ١٩١٩م: «إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية.. إننا سنرحب باليهود ترحيبًا قلبيًّا في عودتهم إلى البلاد.. وهناك مجال في سوريا يتسع لنا جميعًا».

ويعود نبي الوطنية والقومية كما كانوا يلقبونه ـ فيصل بن الحسين ـ ليقول في مؤتمر الصلح بباريس في نفس العام فيعلن أن: «هناك صلات وثيقة من القرابة والدم بين العرب واليهود، كما أنه ليس ثمة تعارض واضح في الصفات المميزة للشعبين».

□ وبعد نحو نصف قرن من هذه التصريحات التي تصدر على مستوى القيادة السياسية، ولكنها تتكلم، أو تسمح لنفسها أن تتكلم، بلسان الأنثروبولوجيين تعود نفس النغمة لترتفع على نفس المستوى بنفس اللسان، حين يعلن أحدهم أثناء زيارته للولايات المتحدة أنه لا يُكنّ شيئًا ضد اليهود!! «لأننا أبناء عمومة في الدم». وهذا حسين الأردن آخر الهاشميين يأتي من بعده ليعلن أخيرًا جدًّا أن العرب واليهود عاشوا مراحل طويلة في التاريخ جنبًا إلى جنب وفي صداقة كأقارب وجيران،

ويقول: «رابين ابن عمي» «رابين قائد شجاع».

▫ ثم يقول الدكتور جمال حمدان معلقًا على تلك المقولات في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٨٨ ـ ٢٩٠).

عميقة إذن هي الفكرة، فكرة قرابة الدم بين العرب واليهود، ومنتشرة متفشية هي إذن بين الكثيرين لا في الخارج فحسب ولكن بين العرب أنفسهم، بل وعلى مستوى قياداتهم، بغض النظر عن كونها قيادات رجعية دعية فُرضت أو فرضت نفسها عليهم، ولا جدال أن لهذا الفكرة نتائجها وتخريجاتها السياسية التي يمكن أن ترتب عليها، كما فعل فيصل بن الحسين في الواقع حين رحب باليهود في سوريا في النص السابق.

فرغم أن من الثابت المقرر في القانون الدولي أن ترك شعب لوطنه ألافًا سحيقة من السنين لا يمكن إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه الآن، ورغم أن الفقهاء الدوليين يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر، الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأسًا على عقب بشكل ساخر بل سخيف لا يتصور، نقول رغم هذا كله فإن فكرة قرابة العرب واليهود في الدم قد يمكن أن تلقي بعض ظلال على قضيتنا المصيرية الأولى في فلسطين، وقد يمكن أن تفتح بابًا للحلول الخاطئة أو الخائنة، سيئة النية أو ساذجة النية.

وليس هذا مجرد استدلال أكاديمي أو إسقاط منطقي، وإنما هو بالفعل ما نجده في أكثر من دائرة من الدوائر العربية وغير العربية. فليس بعيدًا مشروع الملك عبد اللَّه، الذي اقترحه بنفسه على بريطانيا حلاً

لمشكلة فلسطين في الأربعينات، من إنشاء «مملكة سامية» يكون هو على رأسها يكون لليهود فيها حكمهم الذاتي! وفي السنوات الأخيرة ترددت فكرة «الاتحاد الفيدرالي السامي» بين بعض اليهود من صهيونيين وغير صهيونيين وضد الصهيونيين. ولعلنا أن نكتفي منها هنا بذكر مشروع ألفريد ليلينتال في كتابه الأخير The Other Side of the Coin الذي يقترح فيه أن يعود الصهيونيون الإسرائيليون الذين من أصل أوروبي إلى أوروبا، ويبقى الإسرائيليون الذين هم من أصل شرقي في فلسطين، وذلك مع عودة عرب فلسطين إليها ليعيشوا معهم في دولة واحدة جديدة، تدخل مع الوقت في علاقات اقتصادية مع بقية الدول العربية، متطلعة إلى اتحاد اقتصادي مع الأردن وغزة ومتجهة في النهاية إلى «اتحاد سامي» كبير!.

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه المشروعات أو نقدها، فكل حل لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل ١٩٤٨م بل قبل ١٩١٨م مرفوض بلا نقاش، وكل حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمي، ولكن سؤالنا المحوري هو الأساس الجنسي المزعوم في تلك المشروعات: أحقًّا نحن أقارب اليهود وأبناء عمومتهم؟ على أي أساس علمي ذلك، وأي دليل تاريخي ينهض بذلك؟ واضح أن المجال هو مجال الأنثروبولوجي والأنثربولوجيا ـ علم الإنسان ـ بما يحلل من تاريخ قديم وحديث وبما يدرس من لغة ووثائق دينية وبما يقتبس من أجسام وصفات تشريحية ووراثية.. إلخ[١].

---

(١) انظر «فلسطين أولاً» ص(٢٨٧ ـ ٢٩١).

☐ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن يهود فلسطين التوراة كانوا بإجماع الباحثين جماعة سامية من عنصر البحر المتوسط بصفاته المعروفة التي أهمها طول الرأس والسمرة في لون الشعر والعين، ثم القامة المتوسطة والأنف السقيم، أما اليهود المعاصرون فهم في سوادهم الأعظم يختلفون عن هذا النمط البيولوجي كل الاختلاف، فأقلية ضئيلة جدًّا هي التي تبدي تلك الصفات، وهي تتمثل في أغلب السفارديم وبعض اليهود الشرقيين، أما الكتلة الكبرى من يهود العالم ـ الأشكناز ـ ففيها شقرة وألوان فاتحة أكثر مما ـ أو بقدر ما ـ فيها من سمرة، ولكن الأهم من ذلك أنها جميعًا من عراض الرءوس، أي النقيض المباشر والمطلق ليهود فلسطين القديمة.

بهذا إذن لا يعرف اليهود أي وحدة جنسية ويشتد فيهم التنافر في الصفات البيولوجية، وتتعدد بينهم السلالات والأنواع إلى أقصى حد. فعلى سبيل المثال يقدر أن كل نوع أو سلالة جنسية معروفة في أوربا يمكن بسهولة أن تلتقط من بين يهود القارة، وأن أغلب اليهود يمثلون خليطًا بطريقة أو بأخرى بين عديد من تلك الأنواع والسلالات. كذلك من السهل جدًّا أن نلتقط من بين يهود روسيا أفرادًا يمتازون بالصدع الواسع والأنف العريض القصير وعظام الوجنة البارزة بدرجة لا تفرقهم عن جماعات الفن المغولية التي تسكن منطقة الفولجا، بينما يوجد بين اليهود الألمان أفراد هم بكل معنى الكلمة نورديون مثاليون.

☐ وبالمثل يمكن أن نضيف على مستوى العالم متناقضات كالموزايكو تكاد تغطي كل ما نعرف بين البشر من اختلافات في الصفة الجنسية. فثمة «اليهود السود» مثل الفلاشة في الحبشة، والداجاتون Daggatuns

جنود الصحراء الكبرى، ويهود التاميل الملونون في جنوب غرب الهند، بل واليهود الصفر أحيانًا في التركستان، عدا ـ بالطبع ـ اليهود الشقر في أوربا. أو كما لاحظ (دالبي) في أواخر القرن الماضي: هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود: البيض والسمر والسود. هناك اليهودي الربعة غليظ الملامح عريض الرأس من الأشكناز، واليهودي النحيف دقيق الملامح طويل الرأس من السفارديم. ثمة الأنف «اليهودي المحدب» والأنف المفغر ـ نقيض الأنف اليهودي الكامل ـ بل كثير من يهود روسيا. ثمة العيون اللوزية في السفارديم والمكتنزة الضخمة في الأشكنازيم، وأحيانًا العيون المغولية المسحوبة الشريطية في يهود وسط آسيا، وفضلاً عن هذا فإن الدراسات السيرولوجية أثبتت تمامًا أن اليهود يبدو فيما بينهم تفاوتًا كبيرًا جدًّا في فئات الدم مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك لا تبدي تلك الفئات أية علاقة بفئات الدم عند اليهود الذين تبقوا في السامرة حتى يومنا هذا، مما يؤكد عمق انفصالهم جنسيًّا عن الأصل القديم.

□ واضح تمامًا إذن أن الحديث عن وحدة جنسية بين اليهود ككل لا محلّ له من حقيقة أو علم على الإطلاق، وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية. وواضح بالتالي أن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هي محض «خرافة» كما يقول الأنثروبولوجي الكبير (ربلي)، والواقع أن هذه قضية لم تعد موضوع جدل بين العلماء، فكما قال (رينان) من قبل، أن المغزى الأثنولوجي لكلمة يهود ـ على الأقل في شرق ووسط أوربا ـ قد انتهى منذ أمد طويل. وفي نفس المعنى أكد (دالبي) أنه ليس ثمة بعد أي شيء كقضية جنس يهودي على الإطلاق. وكما يقول (ربلي) من بعد: ليس اليهود جنسًا بل مجرد

يهود بكل بساطة».

☐ وعلى هذا فالحكم الحاسم الأخير يُعلق مؤلفو كتاب «نحن الأوربيين» وهم جوليان مكسلي وهارون وكار سوندرز: ونحن نعتقد أنه على صواب: «إن اليهود لا يمكن أن يُصنَّفوا كأمة ولا حتى كوحدة إثنولوجية، بل هم بالأحرى مجموعة اجتماعية دينية تحمل قدرًا كبيرًا من عنصر البحر المتوسط والأرميني وغيرهما كثير، وتتفاوت تفاوتًا عظيمًا في الصفات الجسمية»، ثم يضيف هؤلاء الكتاب قائلين: «إن اليهود المحدثين لم يكونوا أرمينيين في الأعم الأغلب، فإنهم بالتأكيد يبدون من الصفات الأرمينية أكثر مما يُبدون من الصفات «السامية»، وأن النمط الجنسي الذي يميز طائفة السامريين، وإن كنا نلقاه بين اليهود المحدثين إلا أنه بالتأكيد نادر بينهم».

ومن بعد (ربلي) يقرر هرتون Booton بجزم قاطع: «حقيقة هي لا شك أن اليهود مختلطون جنسيًّا ومن أصول طبيعية متنوعة».

ويؤكد (أشلي مونتجيو) نفس الانتهاء فيقرر أن اليهود ليسوا وحدة أثنولوجية بل باصطلاحه معزولة حضارية[1] .

* هل امتلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أرض كنعان:

عاش إبراهيم عليه السلام في فلسطين غريبًا بين سكانها ومالكيها الأصليين، لم يمتلك فيها موضع قدم، حتى إذا فاجأه موت زوجه سارة، انطلق يبحث عن مقبرة يمتلكها ليواري جثمان زوجه وموتى بيته، وفي هذا كلم إبراهيم بني حث ليشتري منهم مقبرة، لكنهم لما كانوا يوقرونه

---

(١) انظر: «فلسطين أولاً» ص(٣١٦ ـ ٣٢١).

كرجل صالح يعيش بينهم، فقد فوضوه أن يختار أفضل مقابرهم هبة منهم دون مقابل، فرفض إبراهيم عليه السلام، وأعطى لعفرون بن صوحر أربع مئة شاقل من الفضة ثمنًا للمقبرة[1] .

إن أسفار العهد القديم ـ الكاذبة المحرّفة ـ تقرر أن إبراهيم تلقى وعودًا إلهية واضحة كل الوضوح بأنه شخصيًّا سوف يمتلك أرض كنعان، هذا بالإضافة إلى تملّك نسله لها ملكًا أبديًّا ولكن هذا ما حدث فهل يخلف اللَّه وعده لخليله عليه السلام يا أولاد الأفاعي يا من تفترون على اللَّه الكذب «أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا».

وكل نصيب الخليل إبراهيم عليه السلام كان مقبرة إن صح اعتبار مقابر الموتى ملكًا يتوارثه الأحياء ويتنازعون امتلاكه.

◻ ونعلم من الأسفار [سفر التكوين ٢٦ : ١٢ ـ ١٧] أن إسحاق قد عاش في أرض كنعان غريبًا متجولاً، لم يمتلك فيها موضع قدم. وكانت ثروته تتركّز في المواشي والعبيد وما تغلّه الأرض التي يزرعها من محاصيل، ولأن إسحاق لم يمتلك من الأرض شيئًا فقد تعرّض للطرد والأذى من سكانها الأصليين.

◻ والشيء الذي تؤكده أسفارهم أن يعقوب عليه السلام وبنيه عاشوا في أرض كنعان غرباء مستضعفين لم يمتلكوا فيها شيئًا، وأن إقامتهم في أي بقعة منها كانت مرتبطة برضاء أهلها وموافقتهم.

«قال يعقوب لشمعون ولاوي: كدرتماني بتكريهكما إياي عند

---

(١) «انظر: «سفر التكوين» ٢٣ : ٢ ـ ١٦.

سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل، فيجتمعون عليّ ويضربونني فأباد أنا وبيتي» [تكوين ٣٤: ٢ ـ ٢٠].

ولم يحدث أن امتلك يعقوب عليه السلام شيئًا في أرض كنعان سوى قطعة أرض صغيرة اشتراها بماله الخاص لينصب فيها خيمته ويقيم عليها مذبحًا للَّه [تكوين ٣٣: ١٨ ـ ١٩].

لقد كانت تلك كل علاقة يقعوب عليه السلام بأرض كنعان حتى رحل إلى مصر، إلى أن توفاه اللَّه ودفن في مغارة المكفيلة بأرض كنعان، تنفيذًا لوصية كان قد أوصى بها بنيه [تكوين ٥٠: ١٢ ـ ١٤].

❑ إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام لم يمتلك أي منهم أرض كنعان، وأن ما نجده في سفر التكوين من وعود إلهية بذلك إنما هو من صنع الكتبة الإسرائيليين وافتروا على اللَّه الكذب، فإن اللَّه لا يُخلف وعده.

إن علماء الترجمة الفرنسية المسكونية يقررون أن مؤلفي «سفر التكوين» الذي جاءت به هذه الوعود، إنما هو من عمل كتبة عديدين استقوا معلوماتهم من أساطير الشرق الأدنى القديم.

* **حقائق :**

❑ إن نصوص الأسفار تحرم على بني إسرائيل، منذ عهد موسى عليه السلام التملك أو الاعتداء على أراضي معينة جعلها اللَّه موطنًا دائمًا لشعوب معينة [انظر سفر التثنية ٢: ٤ ـ ١٩].

---

(١) انظر: «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٢١ ـ ٢٦) بتصرف ـ مكتبة التراث.

لقـد سكن الموآبيون والعمونيون في شـرق الأردن، وسكن الأدوميون بنو عيسو جنوب أرض موآب وجنوب غرب البحر الميت.. ولقد حُرمت تلك المناطق الثلاث على بني إسرائيل منذ عهد موسى فليس لهم إلا إمكانية العبور برضا أهلها [تثنية ٢ : ٦].

ليس في الأسفار ـ إذن ـ ما يمكن أن يُقال له أرض إسرائيل الكبرى. فما ذلك إلا تضليل باسم الدين، وشعار زائف يخدع البسطاء والجاهلين.

▫ لقد كان الرب عز وجل ضد إقامة دولة إسرائيل كما جاء في [صموئيل الأول ٨: ٤ ـ ٦].

اجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى نبيهم صموئيل، وقالوا له: اجعل لنا ملكًا يقضي لنا، وصلى صموئيل إلى الرب. فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك.. لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم».

لقد كان هذا يعني ـ حسب قول الرب ـ رفضًا لحكم اللَّه لهم عن طريق أنبيائه ومنهم صموئيل، وكان رفضهم لصموئيل ـ في حقيقة الأمر ـ رفضًا للَّه.

▫ انظر إلى أولاد الأفاعي الذين يفترون على اللَّه الكذب، قالوا: إن رب إسرائيل وعد أن يبقى ملك سليمان على الشعب الإسرائيلي إلى الأبد، وكذّبهم الواقع، فقد انقسمت مملكته إلى مملكتين من بعده: قضى الأشوريون على الأولى عام ٧٢١ ق.م، وقضى البابليون على الثانية عام ٥٨٦ق.م.

* لا أبدية للتملك:

لقد مكّن لبني إسرائيل وفضلّهم على العالمين في أيامهم، فما رعوا حق اللَّه وما وفوا بعهد اللَّه، اعتبرهم اللَّه خير أمة، ثم حصل منهم ما حصل من نكس العهود قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ فكان اليهود بعد ذلك أشد الناس فسادًا في الأرض..

ولا أبدية للتملّك أو تفضيل بني إسرائيل على العالمين، فقد انتزع منهم بعدما نقضوا عهد اللَّه وعهد رسوله.. فقد كان التمكين مشروطًا بكونهم على صراط اللَّه المستقيم على الإسلام، فلما حادوا عن الإسلام حقت عليهم لعنة اللَّه.

* **إبراهيم عليه السلام وذريته ومنهم أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم كانوا على الإسلام ونحن أولى بهم من اليهود:**

نحن أولى بإبراهيم عليه السلام وذريته منهم.. نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم على الهدى فهم مسلمون، أما اليهود فهم كفار مخلدون في النار.

لا عبرة بما قاله «الحاخام عوفاديا يوسف» الزعيم الروحي لحزب شاس الديني المتشدد، في ضلالته التي ألقاها مساء السبت ٥ أغسطس ٢٠٠٠م في القدس متطاولاً على الذات الإلهية قائلاً: «أن اللَّه يندم كل

---

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» ص(١١٩، ١٢٠).

يوم أن خلق العرب والفلسطينيين!»[1] ، وأذيع من الإذاعة الإسرائيلية صباح ٦ أغسطس ٢٠٠٠م.

إن هذا الكافر الضال المضل يجهل ما في توراته التي تعاقبه بالرجم «من جدف على اسم الرب فإنه يُقتل. يرجمه كل الجماعة رجمًا»[1] . [لاويين ٢٤: ١٤ ـ ١٥].

هم من ملتنا برآء من المغضوب عليهم والضالين.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧ ـ ٦٨].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٣].

---

(١) المصدر السابق ص(١٢٠).

* وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...﴾ [الحج: ٧٨].

* وقال تعالى عن يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقال تعالى عن السحرة الذين أسلموا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

* وقال تعالى عن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

* وقال تعالى عن بلقيس وسليمان عليه السلام: ﴿...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

*** نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود، فقد نعتهم اليهود بأقبح النعوت:**

□ يا معشر يهود... يا بني الساحرة، ونسل الفُسّاق والزناة.. قال لكم يحيى بن زكريا عليهما السلام: «يا أولاد الأفاعي.. لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا» [متى ٣: ٧ ـ ٩].

□ وقال لكم المسيح: «أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف

تهربون من دينونة جهنم» [متى ٢٣ : ٣١ ـ ٣٣].

▫ يا معشر يهود أنتم الذين قلتم في الأسفار بخيانة موسى وهارون عليهما السلام للرب [تثنية ٣: ٥١].

▫ ونحن نتلو قول ربنا في كتابه إلينا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ـ ٥٣].

▫ وأنتم يا معشر يهود تقولون وتفترون في أسفاركم على داود عليه السلام، وتنسبون إليه الزنا والقتل والمذابح وجعلتموه يعرف وسط شعبه بأنه رجل الدماء [سفر صموئيل الثاني].

جعلتموه قاطع طريق وزعيم عصابة كما تقول الترجمة العربية لكتابكم المقدس الصادرة عن دار المشرق ببيروت، نقلاً عن الترجمة الفرنسية المسكونية الشهيرة (T. O. B) التي وصفته بأنه: che Fde Bande وجعلتموه يتظاهر بالجنون ويسيل ريقه على لحيته أمام أخيش ملك جت [صموئيل الأول ٢١: ١٠ ـ ١٥].

جعلتموه مرتزقًا بين الفلسطينيين يلح على محاربة الإسرائيليين!! [صموئيل الأول ٢٩: ١ ـ ١٢].

جعلتموه يعذب أسراه بتقطيعهم إربًا بالمناشير والنوارج، ويحرق البعض الآخر بطرحهم في أفران من الآجر. [صموئيل الثاني ٨: ٢]، و[صموئيل الثاني ١٢: ٢٩ ـ ٣١].

▫ ونحن أولى بنبي الله داود عليه السلام المسلم منكم وقرآننا نتلوه صباح مساء يقول عنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا

سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ ـ ٢٠].

وأنتم معشر يهود يا أبناء الأفاعي قلتم عن أبناء داود عليه السلام ما قلتم:

قلتم إن ثامار بنت داود، اغتصبها أخوها أمنون، فحقد عليه أبشالوم أخوه وشقيقها وقتله.. [صموئيل الثاني ١٣: ١ ـ ٢٩]، هذا وصف بيت النبوة يا إخوان القردة والخنازير.

وسليمان عليه السلام وصفتموه بأقذر الصفات:

ادعيتم أنه بدأ حكمه بالانتقام من خصومه، وأولهم أخيه الأكبر أدونيا ومن شايعه مثل يوآب قائد الجيش وابياثار الكاهن، وما كان قتل سليمان عليه السلام لأخيه أدونيا بسبب تمرد قام به الأخير، ولكنه بسبب أنه طلب من بشتبع أم سليمان أن تتوسط له لدى أخيه سليمان لكي يعطيه ابيشج الشونمية الجميلة امرأة له، «فحلف سليمان عليه السلام بالرب قائلاً: إنه اليوم يقتل أدونيا، فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوداع فبطش به فمات. [الملوك الأول: ٢: ١٣ ـ ١٥].

جعلتم سليمان عليه السلام يرتد ويكفر ويبني النصب للمعبودات الوثنية ويقدم لها القرابين إرضاءً لنسائه الكثيرات:

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين.. وعمل سليمان الشر في عيني الرب... حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين.

ولمولك رجس بني عمون.. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» [الملوك الأول ١١: ١ ـ ٨].

◻ ألا لعنة اللَّه على اليهود.

أما نحن المسلمون فنقول: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

* وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

* **يا معشر يهود يا أبناء الأفاعي:**

أنتم الذين كفرتم بالمسيح عبد اللَّه ورسوله المسلم ـ ولمزتموه في أمه قائلين (لم نولد من زنا) [يوحنا ٨: ٤١].

◻ ونحن نتلو صباح مساء: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

◻ كفرتم بالمسيح عليه السلام ونحن نتلو قول ربنا: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

◻ فمن أولى بهؤلاء الطاهرين منا يا إخوان القردة والخنازير إلى أيِّ الفريقين: نحن أم اليهود ينحاز أنبياء بني إسرائيل؟ إلينا لأنا وهم دين واحد وهو الإسلام: لو أن أنبياء بني إسرائيل بعثوا اليوم جميعًا إلى مَن ينحازون؟

«قطعًا ينحازون إلى المسلمين، فيقول النبي ﷺ لما رأى صحيفة من التوراة في يد واحد من المسلمين قال: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»، فهذا شأن موسى عليه السلام فما بالك بمن عداه من أنبياء بني إسرائيل؟ ويقول النبي ﷺ أيضًا: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**»، ويقول أيضًا: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم** ـ المهدي ـ: **تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»، فعيسى عليه السلام يصلي أول ما ينزل مأمومًا إظهارًا لاتباع شريعة محمد ﷺ، فنحن في اعتقادنا الجازم أن الفتح الإسلامي لفلسطين في عهد الخلافة الراشدة هو امتداد للحكم الإسلامي الذي أقامه داود وسليمان عليهما السلام في مملكتيهما، وهذه كانت ممالك إسلامية حكمها أنبياء اللَّه بمنهج اللَّه، فالحق التاريخي المزعوم الذي ينادي به اليهود هو في الحقيقة حجة عليهم لا لهم؛ لأن هؤلاء كانوا على نفس ملتنا وعلى نفس ديننا دين الإسلام»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) «غزة أريحا» شريط للشيخ محمد إسماعيل المقدم.